

**French colonial policy in Algeria and its implications for health and medical conditions during the liberation revolution 1954-1962.**

ط.د/ محمدي محمد

جامعة محمد بوضياف المسيلة- الجزائر

Mohamedbba1902@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/03/01 تاريخ القبول: 2020/01/07 تاريخ الارسال: 2019/06/14

ملخص:

تروم هذه الدراسة التاريخية المتواضعة، محاولة هادفة لإمطة اللثام وكشف الستار عن واحدة من أهم القضايا والمسائل الانسانية التي عرفتها الثورة التحريرية الجزائرية طيلة سنوات كفاحها الطويلة والممتدة منذ اندلاع هذه الأخيرة في الفاتح نوفمبر 1954 وإلى غاية استقلال البلاد في 05 جويلية 1962، ويتعلق الأمر بالسياسة الاستعمارية المنتهجة ضد الجزائريين خلال الثورة التحريرية وما انعكس عنها من تداعيات سلبية على الواقعين الصحي والطبي بالنسبة لعموم الجزائريين والجزائريات، وبالمقابل من ذلك فالدراسة محاولة لتسليط الضوء على جهود "جبهة.ت.و" بصفة خاصة والثورة بصفة عامة في النهوض بالأوضاع الصحية المتدهورة لعامة الجزائريين، والسعي لضمان الحد الأدنى من الأدوية والوسائل والمستلزمات الطبية للتكفل بالحالات الطارئة والمستعجلة من هؤلاء المتضررين.

**الكلمات المفتاحية:** السياسة الاستعمارية، الأطباء، الصيادلة، الواقع الصحي، الثورة التحريرية.

**Abstract**

This study aims at to unveil one of the most important humanitarian issues that the Algerian liberation revolution has known throughout its long and prolonged years of struggle since the November 1, 1954 and until the independence of the country on 05 July 1962, and it is related to colonial policy Adopted against the Algerians during the liberation revolution and its negative implications on the health and medical realities for the Algerian peoples and Algerian women particularly. On the other hand, the study is an attempt to shed light on the efforts of the National Liberation Front in particular and the revolution in general. A nation in advancing the deteriorating health conditions of the Algerian population, and striving to ensure a minimum of medicines, means and medical supplies to ensure urgent cases from those affected.

**Key words:** colonial policy, doctors, pharmacists, health reality, Liberation revolution.

مقدمة:

في الوقت الذي هلّل فيه الكثير من الجزائريين مستبشرين بحدث الاندلاع التاريخي للثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954، بعد أن اتخذ الوطنيون قرارهم النهائي بالإعلان عن تفجير العمل المسلح ضد الواقع الاستعماري، هذا الأخير الذي سلطت زبانيته قيود القهر والعدوان على عموم الأهالي من الجزائريين والجزائريات، ومن أجل تجسيد وتحقيق الحرية والاستقلال كهدف ومطلب انساني فقد كانت المواجهات العسكرية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية، المدعومة بالعتاد الحربي للحلف الأطلسي الغربي خياراً مسيراً بالنسبة للجزائريين، الذين تكبدوا في حربهم غير المتكافئة مع القوى الاستعمارية خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، الأمر الذي جعل من جنود "جيش.ت.و" عرضة حتمية لمختلف الجروح والإصابات الجسدية الناجمة عن شدة ووطأة المواجهات العسكرية الناشئة بين الطرفين المتحاربين.<sup>1</sup>

وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة وغير المستقرة التي شهدتها المرحلة الثورية في المجالين الأمني والعسكري 1954-1962، فقد أضحي الكثير من المدنيين الجزائريين عرضة طبيعية لمجمل التداعيات والانعكاسات السلبية لهذه المواجهات العسكرية، سيما في ظل النقص الكبير في الأطباء والصيدالة الجزائريين الذين توكل إليهم مهمة النهوض بالأوضاع الصحية المأساوية التي تشهدها البلاد خلال هذه المرحلة الحساسة، وذلك بعد أن جعلت السلطات الفرنسية من مهمة الحصول على الأدوية والوسائل الطبية الموجهة للأطباء والمصابين الجزائريين، هدفاً أساسياً لسياساتها الاقتصادية ومحوراً لمصادراتها التعسفية، في محاولة من قبل هذه الأخيرة لمنع كل مساعدة طبية أو علاجية، تستهدف بمخدراتها الانسانية المناضلين والمجاهدين الجزائريين على حد سواء.<sup>2</sup>

وبناء على ذلك فقد حاولت دراستنا هذه، كشف الستار عن السياسة الاستعمارية تجاه الثورة الجزائرية عامة والمدنيين الجزائريين بصفة خاصة، والجهود التي بذلتها بالمقابل "جبهة.ت.و" من أجل النهوض بالأوضاع المأساوية والصحية المتدهورة لهؤلاء الجزائريين، وذلك تقييداً بالعناصر الآتي ذكرها:

1- السياسة الاستعمارية في الجزائر وتداعياتها على الأوضاع الصحية للجزائريين خلال الثورة التحريرية؟

2- السلطات الاستعمارية وأساليبها في محاصرة الأطباء والصيدالة الجزائريين؟

3- المرأة الجزائرية واسهاماتها في المجال الطبي إبان الثورة التحريرية؟

1- السياسة الاستعمارية وتداعياتها على الأوضاع الصحية للجزائريين خلال الثورة التحريرية:

منذ أن تقرر لدى الثوريين الجزائريين اتخاذ القرار النهائي والتاريخي، بالإعلان الرسمي عن البداية الفعلية للكفاح الشرعي المسلح ضد الاستعمار الفرنسي في الفاتح نوفمبر 1954، وبعد سلسلة الانتصارات الميدانية

المتتالية التي ما فتئت تحققها المواجهات العسكرية للمجاهدين الجزائريين ضد العسكريين الفرنسيين في وقائع المعارك وساحات القتال، باتت الثورة الجزائرية بحضورها الدائم والشامل تقض بتداعياتها المختلفة مضاجع الفرنسيين، في الأوساط المختلفة مثل: الأوساط السياسية والعسكرية والاجتماعية... الخ، بالجزائر طيلة الفترات الأولى من عمر الثورة التحريرية وفي معركتها ضد الفرنسيين، وبالرغم من النتائج الإيجابية التي حققتها المعارك العسكرية لجنود "جيش.ت.و" ضد آلة البطش الاستعمارية، إلا أن هذه المواجهات الفعلية مع الآلة الفرنسية خسائر جمة في الجانبين البشري والصحي للجزائريين، الذين تكبدوا في أولى مراحل الثورة التحريرية الجزائرية العديد من الخسائر البشرية المتباينة والمتفاوتة الخطورة.<sup>3</sup>

ولأجل تحقيق التواصل والتسلسل في المسيرة الثورية التحريرية للجزائريين، إلى غاية تحقيق الهدف المعلن في بيان الفاتح نوفمبر 1954، ممثلاً في القضاء على النظام الاستعماري وتحقيق الاستقلال والحرية لجميع الجزائريين من دون استثناء، دون اهمال للعراقيل والخسائر البشرية الكبيرة<sup>4</sup> التي تكبدتها الثورة التحريرية خلال مواجهاتها العسكرية ضد الترسانة الاستعمارية الفرنسية، هذه الأخيرة التي لم تتردد في توظيف هذا الجانب كورقة للضغط على الجزائريين، حسب ما ذكر الجنرال الفرنسي "ليوتي" في قوله: «...إنه ليس هناك ما هو أقوى من فعالية دور الطبيب، كعامل توغل وجاذبية وسلام وسط السكان الأصليين...»<sup>5</sup>، وعليه فقد اجتهد قادة الثورة التحريرية الجزائرية، وبخاصة من أعضاء "جبهة.ت.و" في بذل كافة جهودهم من أجل الاحتواء الشامل والعملي لكافة الأوضاع الصحية للإنسانية التي تمر بها أعداد كبيرة من الجزائريين<sup>6</sup>، لاسيما في ظل الأزمات المتعاقبة التي عرفتها البلاد خلال المراحل الأولى من الثورة التحريرية.<sup>7</sup>

وفي ذات السياق، والمتعلق بالجهود المبذولة من أجل النهوض والرفع من مستوى الواقع الصحي لعموم الجزائريين (مدنيين وعسكريين) خلال المرحلة الثورية، ومن الجهود الجبارة التي بذلها قادة "جبهة.ت.و" في سبيل النهوض بالأوضاع الصحية للجزائريين المدنيين أو لفائدة عامة الجنود العسكريين من أفراد "جيش.ت.و"، نجد البوادر والملامح الأولى للاهتمام بالجانب الصحي والتي ظهرت من خلال نقاشات القادة السياسيين والعسكريين للثورة في أول مؤتمر تنظيمي لها، والذي أدرك المناضلون الجزائريون بناء على النتائج والإحصائيات المقدمة فيه مدى كارثية الحالة الصحية السائدة في الأوساط المدنية والثورية الجزائرية، وعليه فقد تقرر بالاستناد إلى نتائج ومقررات هذا المؤتمر، ضرورة التكفل والتدارك المستعجل للأوضاع الصحية والعلاجية المتدنية التي تتخبط فيها الأوساط الثورية، مع العمل على إيلاء هذا الشق الإنساني من مأساة المجاهدين الجزائريين نصيبه من الاهتمام والتدارك العاجل.<sup>8</sup>

وسعيًا من قادة الثورة للنهوض بالأوضاع الصحية المتدهورة التي تعيشها الأوساط الجزائرية، فقد اتخذت جملة من الاجراءات والخطوات العملية بهدف النهوض بالواقع الصحي والطبي المأساوي للجزائريين، ومن نتائج ذلك ما أقره ميثاق مؤتمر الصومام المنعقدة أشغاله في تاريخ 20 أوت 1956، في ما تعلق بالجهود المبذولة من طرف قادة الثورة للنهوض بالجانب الصحي لهؤلاء الجزائريين، وذلك في نص جاء فيه: «...أما في ما يتعلق بالجانب الصحي فقد تم تنظيم مصالح صحية، تشتمل على جراحين وأطباء وصيادلة، بحيث يكونون على اتصال دائم بعمال المستشفيات، مع تنظيم للعلاج وعمليات الحصول على الأدوية والضمادات، إضافة إلى السعي في إنشاء عيادات في الأرياف، للإشراف على معالجة المرضى ومن يكون منهم في مرحلة النقاهة».<sup>9</sup>

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن الفضل في الانفراج الذي شهدته المسيرة الثورية في المجال الصحي والطبي، إنما يعود بالدرجة الأولى إلى القرارات التنظيمية والانسانية التي أقرها ميثاق الصومام، وتمكنت بفضلها أجهزة وهياكل الثورة التحريرية الجزائرية، من تسخير أعداد كبيرة من الكفاءات والاطارات البشرية لفائدة النهوض بالأوضاع المأساوية<sup>10</sup>، التي باتت تتخبط فيها مجمل الفئات الشعبية الجزائرية<sup>11</sup> فضلاً عن الأوضاع الصعبة التي أضحت تلاحق جنود "جيش.ت.و"، ومن أجل ضمان التكفل الأمثل والتغطية الشاملة لجميع هذه الحالات المنتشرة في الأوساط الشعبية الجزائرية، من جهود للتكفل بالجرحي من جنود "جيش.ت.و"، وكذا بالنسبة للأعداد المتنامية من المرضى والمبوءين بين الجزائريين بفعل عوامل عديدة منها: سوء التغذية، المياه الملوثة، نوعية المسكن... الخ<sup>12</sup>، دون تجاوز بالنسبة للأوضاع اللانسانية والمتدهورة التي كان يكابدها العديد من المدنيين اللاجئين عبر مختلف المراكز الحدودية المخصصة للاجئين الجزائريين عبر أراضي البلدين الشقيقين تونس والمغرب.<sup>13</sup>

وانطلاقاً من الأوضاع الاجتماعية المتردية التي باتت تعيشها الأوساط الجزائرية، فقد نهض قادة "جبهة.ت.و" بجهود كبيرة من أجل الاستقطاب لكافة الاطارات البشرية التي يمكن لها أن تقدم الدعم والمساندة المنتظرة منها في هذا المجال الحساس من المسيرة الثورية.

وقد كللت جهود قادة "جبهة.ت.و" المناضلين الجزائريين بتحقيق الإضراب الوطني للطلبة والتلاميذ الجزائريين في تاريخ 19 ماي 1956<sup>14</sup>، والذي تمكن القطاع الصحي بفضل من تدعيم صفوفه بمجموعة مقبولة من الكفاءات التي تعززت بها هياكل ومؤسسات القطاع الصحي للثورة، سيما بعد الانضمام الارادي للعديد من الطلبة والمختصين، الذين ساهموا بخبراتهم في إعطاء الثورة ومتضرريها من المدنيين الجزائريين قفزة ساهمت في النهوض بالجانب الصحي بالنسبة لفئات كبيرة من أبناء المجتمع.

وبالنسبة إلى أهمية الإلتحاقات التي تكلل بها القطاع الصحي إبان مرحلة الثورة التحريرية، بعد الإضراب الطلابي الشهير المعلن عنه من قبل التلاميذ والطلبة، فيروي المناضل "علي كافي" تجربة الولاية الثانية التاريخية مع الإضراب، والنماذج الحية من الطلبة والإطارات الذين تعزز وتدعم بهم المجال الطبي والصحي في الولاية الثانية بعد الإضراب المعلن، فيقول: «...إن أغلب هؤلاء المتطوعين الملتحقين بالولاية الثانية التاريخية عقب الإضراب الشهير هم من الطلبة والتلاميذ، الذين عدوا من بين الكفاءات العلمية لجامعة الجزائر، ونذكر منهم: (الأمين خان طالب في الطب، علاوة بن يعطوش طالب في الحقوق، الطيب فرحات طالب في الرياضيات، الطاهر بن مهدي، بابا أحمد عبد الكريم...)، وغيرهم من طلبة جامعة الجزائر الذين تدعم بفضلهم الجانب الصحي للولاية الثانية التاريخية خاصة والثورة التحريرية بصفة عامة...»<sup>15</sup>.

وبناء عليه يمكن القول؛ بأن السياسة الاستعمارية المطبقة تجاه الثورة الجزائرية، قد ساهمت والى حد كبير في تدهور الأوضاع الصحية للأهالي والمدنيين الجزائريين في داخل البلاد كما في خارجها، ويتعلق الأمر بالأوضاع اللاإنسانية التي أضحت تكابدها الفئات اللاجئة الجزائرية عبر المراكز الحدودية، وهي الأوضاع التي ساهمت بانعكاساتها في استنهاض الهمم والجهود بالنسبة لقادة الثورة الجزائرية، لأجل العمل المشترك من أجل النهوض بالأوضاع اللاإنسانية التي عرفها المجال الصحي المتدهور، من خلال سن جملة من التعليمات الثورية سعياً لانتشال الجزائريين مدنيين وعسكريين من الواقع الصحي المأساوي الذي عرفته الثورة التحريرية.

## 2- السلطات الاستعمارية وأساليبها في محاصرة الأطباء والصيدالَة الجزائريين:

منذ أول أيام الثورة التحريرية الجزائرية وجهود قادة وأعضاء "جبهة.ت.و" كبيرة وحثيثة، تسعى لأجل النهوض بالأوضاع الكارثية التي باتت تعيشها العديد من الفئات الجزائرية (مدنية أو عسكرية) المتضررة من جراء الواقعة الاستعمارية وتداعياتها على الثورة التحريرية، وخاصة بعد الانتصارات العسكرية التي بات يحرزها جنود "جيش.ت.و" ضد آلة البطش الاستعمارية، وهي الظروف التي انعكست على المدنيين الجزائريين بصورة أو بأخرى، لاسيما في ما تعلق بالشق الاجتماعي والصحي الذي كان أحد أبرز المجالات المتضررة من انعكاسات ردود الفعل الفرنسية تجاه الثورة التحريرية.

وبالمقابل من ذلك؛ نجد أن السلطات الاستعمارية الفرنسية لم تبق مكتوفة الأيدي حيال كل هذه الجهود المبذولة من قبل قادة الثورة الجزائرية، بهدف النهوض بالأوضاع الصحية والطبية المتضررة والتي تعيشها فئات عريضة من الجزائريين، لاسيما في ما تعلق بالندرة التي تشهدها الساحة الثورية في ما يخص الخدمات الصحية، في ظل إحصاء كثير من الأطباء والصيدالَة الذين أضحت أعين السلطات الاستعمارية تترصد لهم،

والشكوك الفرنسية تحوم بشأن تورطهم في تقديم المساعدة والدعم الطبي والصحي خدمات ووسائل لفائدة منتسبي الثورة التحريرية الجزائرية.

وفي ظل هذه الأوضاع غير المستقرة بالنسبة للوضع الصحي الذي عرفته هياكل الثورة الجزائرية، فقد دأبت السلطات الاستعمارية الفرنسية على ممارسة التضييق والخناق على جميع هؤلاء الأطباء والصيدالاء الجزائريين، وفرض جملة من الأساليب الحديثة في الرقابة الإدارية والعسكرية على هؤلاء الأطباء والصيدالاء الجزائريين، والعمل بشتى الوسائل من طرف الادارة الاستعمارية سعيا لأجل تحييد هذه الفئة من الانسانيين الجزائريين، أملا من هذه الأخيرة لكسبها وضمان عدم تعاونها مع "جبهة" و "جيش.ت.و".<sup>16</sup>

وفي ظل الأساليب المتبعة من قبل السلطات الفرنسية من أجل منع الأطباء والصيدالاء الجزائريين، من تقديم أي شكل من أشكال المساعدة الطبية أو الصحية لصالح أفراد "جبهة.ت.و" أو جنود "جيش.ت.و"، فقد دأبت السلطات الاستعمارية الفرنسية على سن جملة من الإجراءات التنظيمية والاحترازية، لفرض الرقابة العسكرية والإدارية على جميع الأطباء والصيدالاء من خلال التدخل في مهامهم الطبية والعلاجية، وذلك بإجبار هؤلاء الأطباء على التصريح بجميع الزبائن والمرضى المتوافدين على مصحاتهم ومراكزهم الطبية، وفي ذلك سعي واضح من لدن هذه السلطات للتعرف على هوية جميع الجزائريين الذين يقصدون هؤلاء الأطباء والصيدالاء وطبيعة أمراضهم، وقد بلغ الحد في تطبيق هذه التعليمات مستويات خطيرة، حتى أنها قد وصلت درجة التهديد بالقتل والتصفية لكل طبيب أو صيدلي تثبت إدانته وتورطه في مساعدة الوطنيين الجزائريين.<sup>17</sup>

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف الانساني، فقد انتهجت السلطات الفرنسية جملة من الأساليب المختلفة والتي ترمي إلى الانتقام المبرمج تجاه جميع الأطباء والصيدالاء الجزائريين، هؤلاء الذين فرض في شأنهم جملة من التدابير والاجراءات التنظيمية الصارمة، والتي تتمحور حول موضوع توزيع وتصريف الأدوية بالنسبة لهذه الصيدليات والعلاج بالنسبة للأطباء، وفي هذا الصدد فقد أثبتت وثيقة أرشيفية أن عديد الأطباء والصيدالاء من الجزائريين، قد تمت تصفيتهم واغتياهم من قبل السلطات الاستعمارية، وذلك لمجرد تعاونهم أو تقديمهم خدمة إنسانية لصالح المناضلين الجزائريين، في نص جاء فيه: «...لم تكن فرنسا تسمح لهؤلاء الجرحى من الاتصال بالأطباء، كما عملت على تحريم الدواء من الوصول إليهم، والدليل على ذلك أنها اغتالت الطبيب التلمساني "ابن الزرجب" لأنه قد اتم بمعالجة الجرحى من الثوار، كما اغتالت الصيدلي القسنطيني "علاوة بن جلول" لأنه قد اتم أيضا بتصريف الدواء لأولئك الجرحى».<sup>18</sup>

وفي الوقت الذي كانت الرقابة مضروبة على الأطباء والصيادلة الجزائريين قد وصلت أعلى مستوياتها، فإننا نجد أن أساليب الرقابة الفرنسية على الصيدليات وبائعي الأدوية بالجملة في الجزائر لم تتوقف عند هذا الحد بل بلغت مستويات كبيرة، وفي ذات الشأن يذكر الضابط الفرنسي "جاك سوستيل" في كتابه "الجزائر المحبوبة والمعذبة"، بأن الأساليب الموظفة من أجل الحد من تصريف الأدوية ومنع وصولها لفائدة الجزائريين كانت صارمة؛ في نص ورد فيه: «إن كميات كبيرة من الأدوية المستعملة في علاج الجرحى، ومواد كيميائية لصنع المتفجرات أصبحت تختفي بسرعة من الصيدليات والدكاكين، وتشتري بطبيعة الحال لحساب الإرهاب (يعني الثوار الجزائريين)».<sup>19</sup>

وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة؛ التي بات يشهدها الجانب الصحي خلال مرحلة الثورة التحريرية بفعل التضيق والخنق المضروب من قبل السلطات الفرنسية، فقد ساهم قادة الثورة التحريرية في فك هذا الخناق والعزلة المضروبة على هذا الجانب الهام من الثورة التحريرية، من خلال فسخ المجال أمام لإنشاء المراكز الطبية والصحية، وقد تجلّى ذلك بصورة واضحة في إعطاء الضوء الأخضر لأجل تأسيس جملة من المراكز والمقار الطبية والصحية الموزعة عبر كافة أنحاء البلاد ومناطقها العديدة، كما تظهر هذه الجهود بصفة واضحة أيضاً عبر المراكز والمناطق المخصصة للاجئين الجزائريين عبر الشريط الحدوديين، أين تتسارع أحداث وتطورات الثورة التحريرية مما جعل الجهود الثورية منصبة لأجل للنهوض بالأوضاع الصحية لهذه الفئات المدنية المتضررة.<sup>20</sup>

وفي هذه المراكز الحدودية المخصصة للفئات الجزائرية اللاجئة، تم تأسيس أول مركز طبي وعلاجي لهذه الفئة بالناحية الشرقية للبلاد، وقد أسندت بهذه الجهة من البلاد مهمة تكوين الإطارات الطبية والاستشفائية المتخصصة، إلى الطبيب الجزائري "الصغير النقاش" الذي تمكن القطاع بفضل مجهوداته الجبارة، من تخريج العديد من الإطارات الطبية الموجهة لخدمة الثورة التحريرية في الناحية الشرقية من البلاد، ومن بين المراكز الطبية المستحدثة في هذا المجال، يذكر لنا الدكتور "محمد أمير" في كتابه المراكز التالية: مركز الكاف، غار ديماو، تونس المركز.<sup>21</sup>

ومن أجل ضمان التغطية الصحية الشاملة بهذه المراكز، فقد تم تسطير برنامج علاجي مكثف ومتخصص لفائدة المرضى المتواجدين بهذه المراكز اللجؤية، وذلك من خلال بالاتفاق مع أطباء متخصصين من المستشفيات التونسية للقيام بزيارات تفقدية يوم كل أسبوع لكل طبيب متخصص، وبذلك فقد ضمن قادة الثورة جزءا من الخدمة في هذه المراكز.<sup>22</sup>

أما في ما تعلق بالجهة الغربية من البلاد فإن الاهتمام بها هو ذاته، من خلال على تأسيس أول مدرسة للتكوين وتلقي المعارف الطبية والاجتماعية، وقد شهدت المدرسة إقبالا كبيرا لاسيما من قبل هؤلاء الطلبة

والتلاميذ ممن قرروا مغادرة مقاعد الدراسة والالتحاق بصفوف الثورة التحريرية، في حين أسندت مهمة تكوين الإطارات الطبية بهذه الجهة من البلاد إلى الدكتور المناضل "أمرجي يوسف بن إسماعيل".<sup>23</sup>

وفي ظل التعدد الحاصل في الأزمات التي عايشها الأهالي والمدنيون الجزائريون خلال الحقبة الثورية، فقد كان لزاما على الطبيب الجزائري الإلمام بجميع المهام الطبية المختلفة من أجل النهوض بجميع الحالات المرضية المختلفة التي تواجه هؤلاء الأطباء مثل: معالجة الصدمات النفسية، معالجة الصدمات العقلية، علاج الإصابات والجروح الجسدية، وبناء عليه فإننا نجد أن اهتمام هؤلاء الأطباء والأعوان الطبيين خلال الثورة التحريرية قد تباين بين مهام عديدة نذكر منها:

- مهام الرفع من معنويات المجاهدين الجزائريين المصابين بجروح حربية، والعمل على زيادة ثقتهم في أنفسهم.
- العمل على نشر وتعميم الوعي الصحي والوقائي بين المجاهدين الجزائريين في الجبال، من خلال إلقاء المحاضرات والدروس الطبية المتعلقة بهذا الجانب، والتي كانت تقدم للجنود والمناضلين من جنود "جيش.ت.و" بصفة دورية.
- مهام النهوض بالدور الرقابي والطبي، من خلال القيام بدوريات صحية واستطلاعية لأوضاع المرضى والمصابين، ويشمل هذا الدور جميع القطاعات الطبية والصحية الموزعة عبر نطاق الولاية والمناطق المحددة للعمل بالنسبة لهؤلاء الأطباء.<sup>24</sup>

ومثلما هو الحال بالنسبة للأطباء الثوريين؛ فالبساط ينسحب كذلك على المراكز الطبية والصحية المنشأة خصيصا لفائدة الجنود المصابين من أفراد "جيش.ت.و" في داخل البلاد، والتي اشترطت "جبهة.ت.و" لأجل قبول إنشائها وتجسيدها في الواقع؛ جملة من الشروط الأمنية والوقائية التي نذكر منها على سبيل المثال:

- أن يكون إنشائها في أماكن ومراكز آمنة، بحيث تأسس في وسط الغابات وبين التضاريس الصعبة، وذلك حتى يكون الوصول إليها من قبل الجيش الفرنسي أمراً صعب المنال.
- أن يراعى في تصميمها جملة المعطيات الصحية والطبيعية، مثل التغيرات المناخية التي تتميز بها الفصول الطبيعية طيلة فترة السنة، من أجل ضمان الراحة النفسية والفيزيولوجية لعامة المرضى والمصابين من جنود "جيش.ت.و".<sup>25</sup>

- شرط احتواء هذه المراكز الطبية والصحية على أسرة خاصة بالمرضى وضماناً لراحتهم، بالإضافة إلى قاعات متعددة للعلاج والأمور المتعلقة بهذه العملية، مثل: قاعة الطبيب، قاعة للطبخ، قاعة للعلاج... الخ.

— إحاق المستشفيات والمراكز الطبية التابعة للثورة التحريرية، بمخابئ مخصصة للأدوية والمستلزمات الطبية اللازمة التي تكفل النهوض بالحالات الطبية المستعجلة والتي يمكن أن يكون الجرحى والمصابين من جنود "جيش.ت.و" عرضة لها.<sup>26</sup>

— أن تكون هذه المراكز الطبية والمناطق المؤسسة عليها هذه المقار الطبية في غاية السرية، ولا تكون مكشوفة ومعلومة لدى عامة الناس حتى لا ينكشف أمرها بالنسبة للسلطات الفرنسية.

— تخصيص هذه المستشفيات الثورية بفرق أمنية وعسكرية مسلحة، من جنود "جيش.ت.و" من أجل الحراسة والتأمين المستمر لهذه المستشفيات والمراكز الطبية التابعة لأجهزة الثورة التحريرية الجزائرية.<sup>27</sup>

ومما سبق التطرق له، يمكننا القول أن الواقع اللإنساني الاجتماعي الذي آلت إليه أوضاع المدنيين الجزائريين المختلفة وبخاصة الصحية منها، قد كان نتيجة طبيعية للسياسة الاستعمارية الفرنسية المسلطة على الجزائريين، والتي قادت البلاد إلى واقع اجتماعي وإنساني متدهور، الأمر الذي جعل من قادة الثورة يكتفون من جهودهم لأجل النهوض بالأوضاع السالفة الذكر، من خلال تجميع الطاقات المدنية والعسكرية لعامة الجزائريين، مما ساهم وبشكل كبير في تجاوز الانعكاسات السلبية للسياسة الاستعمارية الموجهة تحديدا لأجل القضاء على المشروع الثوري التحرري المعلن من قبل الجزائريين.

### 3- المرأة الجزائرية واسهاماتها في المجال الطبي إبان الثورة التحريرية:

لقد بادرت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ السنوات الأولى للثورة التحريرية الى توظيف العديد من الوسائل والبدائل المتاحة أمامها، من أجل القضاء على الثورة التحريرية كأولوية ومن ثمة تخفيف كافة أشكال المساعدة والدعم الطبي والصحي المقدم من طرف الثورة التحريرية لفائدة المدنيين الجزائريين بصفة عامة، أو حتى لصالح فئات محددة من جنود ومناضلي "جيش" و "جبهة.ت.و"، وذلك من خلال ممارسة التضييق والخنق المقنن على جميع منتسبي الطبابة الجزائرية خلال المرحلة الثورية، وجميع ما تعلق بالشق الطبي من المساعدين والمرضين والصيادلة الجزائريين، وفي ظل هذا الحصار الفرنسي الممارس من قبل السلطات الاستعمارية فقد كان خيار اللجوء الملزم من قبل قادة الثورة التحريرية الجزائرية، إلى الإمكانيات الخلاقية التي تحوزها المرأة والفتاة الجزائرية كبديل فعال للجهود التي قدمها الرجال في هذا المجال الحساس؛ وقد كان هذا التوجه نحو الامكانيات التي تحوزها المرأة كخيار ملزم للتملص من السياسة التي شنتها السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد الثورة الجزائرية، وبخاصة في المجالين الصحي والطبي، وذلك ما وضحه ميثاق مؤتمر الصومام في إشارة منه إلى ضرورة استغلال الطاقة الكامنة التي تحوزها المرأة الجزائرية في قوله: «... توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر بإطراد...».<sup>28</sup>

وفي سياق متصل؛ بالجهود التي ما فتئت تبذلها المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، فقد أكدت الباحثة "أنيسة بركات" أن المرأة الجزائرية قد نهضت بالعديد من الأدوار الريادية والمصيرية خلال مرحلة الثورة التحريرية 1954-1962، ولا أدل على هذه الأدوار الهامة من مهام: طهي الطعام للمجاهدين، الحراسة من أجل ضمان أمن وسلامة المجاهدين، غسل ملابس المجاهدين... إلخ، وبالإضافة إلى هذه الأدوار البطولية فإننا نجد أن دورها كان أكثر بروزا في المجالين الصحي والطبي خلال المرحلة الثورية بالمقارنة مع عديد الأدوار الأخرى التي نهضت بها المرأة الجزائرية خلال المرحلة الثورية.<sup>29</sup>

كما يشير العديد من الدارسين أيضا؛ أن من الأسباب والعوامل التي جعلت من المرأة عنصرا فاعلاً في المجالات السالفة الذكر، كما أنها قد أبلت فيها البلاء الحسن مقارنة بالمجالات والحقول الانسانية الأخرى، هي جملة من المميزات نذكر منها: الرقة، الرأفة، غريزة الأمومة... إلخ، وغيرها من الخصائص والمميزات التي جعلت من المرأة عضوا وعنصرا مؤثرا في مجال الطب الثوري دون سواه من المجالات الانسانية والاجتماعية العديدة الأخرى.<sup>30</sup>

وفي نفس الاطار؛ المتعلق بالجهود التي بذلتها المرأة الجزائرية في المجال الطبي والصحي خلال مرحلة الثورة التحريرية، تجدر بنا الإشارة إلى مساهمة المرأة الريفية في هذا الجانب الإنساني من حياة المجاهدين الجزائريين في المناطق الجبلية والريفية بالولايات الداخلية الجزائرية، وذلك استنادا لكون جل هذه المعارك والاشتباكات العسكرية القائمة مع القوات الاستعمارية الفرنسية، تكون في أغلبها انطلاقا من مواقع المناطق الريفية والجبلية، وفي هذه المناطق نجد أن المرأة الجزائرية قد حملت على عاتقها مهام النهوض بالعديد من المصالح المختلفة لفائدة الثورة التحريرية وجميع منتسبيها من المجاهدين الجزائريين، ومن بين هذه المهام نذكر: مهام نقل الجرحى، معالجة المصابين، التكفل بالحالات المستعجلة للجرحى والمصابين من جنود "جيش.ت.و"<sup>31</sup>، وكل هذه المهام كانت في ظل الغياب أو شبه الانعدام بالنسبة للإمكانيات والوسائل الكفيلة بمساعدة وعلاج هؤلاء الجرحى والمصابين من المجاهدين الجزائريين في المناطق الريفية والجبلية من قبل المرأة الجزائرية بهذه الأماكن.<sup>32</sup>

وكغيرها من عديد المجالات والمهام الطبية الموازية التي نهضت بها المرأة الجزائرية في المدن أو الأرياف الجزائرية العميقة، فقد وقفنا أدوار ومهام أخرى أكثر خطورة نهضت بها المرأة الجزائرية، والتي نذكر منها الجهود التي نهضت بها المرأة الجزائرية في مهام البحث عن الدواء وجهود تحصيله وإيصاله إلى مستحقه من المجاهدين الجزائريين، وحول المخاطر التي تزامنت مع القيام بمثل هذه المهام من طرف النساء الجزائريات، تروي إحدى المجاهدات الجزائريات قصتها مع معاناة المرأة الثورية في سبيل الحصول على قطعة واحدة من الأدوية الموجهة لصالح علاج إخواننا المجاهدين الجزائريين، في قولها: «...لقد كنا ندفع بالأطفال من أجل شراء نوع معين من الأدوية،

لأنه لا يمكن لفرد واحد شراء كل هذه الكمية، وبعد إنهاء عملية الجمع والشراء؛ نقوم بإجراء اتصالات مع المجاهدين الجزائريين لتحديد أماكن محددة يكون فيها التسليم، ثم نقوم بإخراج الأدوية بحذر لتسليمها لهؤلاء المجاهدين في المكان المحدد سابقاً<sup>33</sup>.

#### خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، نستطيع القول بأن السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر خلال مرحلة الثورة التحريرية، كانت تتميز بالقمع والمضايقة في جميع الأصعدة وفي شتى المجالات المختلفة بالنسبة للمدنيين وجنود الثورة التحريرية الجزائرية على حد سواء، ولا أدل على ذلك من الخناق الفرنسي من ذلك المسلط على الجانب الصحي والطبي للجزائريين، أين عمدت السلطات الفرنسية إلى توظيف العديد من أساليب المراقبة والتضييق على الأطباء والصيدالوجيا الجزائريين، وصلت إلى درجة التهديد بالقتل والتصفية الجسدية في حال تعاونهم مع الوطنيين الجزائريين، كما نجد أن هذه السلطات الفرنسية قد أمعنت في تشديد الخناق في ما تعلق بمراقبة الأدوية وحركيتها في الصيدليات الجزائرية، بهدف منع وصول هذه الأخيرة إلى المصابين والجرحى من الجنود الجزائريين، وهي الظروف التي ساهمت بشكل سلبي في وتيرة الكفاح المسلح المعلن من قبل المجاهدين الجزائريين، لولا المساهمة والقفزة الكبيرة التي قدمتها المرأة الجزائرية في مجالات: الطبابة، الاسعاف، التمريض، شراء الأدوية، نقل الأدوية... وغيرها من المهام البطولية الأخرى في هذا المجال.

#### الهوامش:

- 1- عمار ملاح: وقائع وحقائق عن الثورة التحريرية بالأوراس، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص110.
- 2- فاروق بن عطية: الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962، تر: عبد الرحمن كابوية، محمد سالم، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص60.
- 3- جيلالي تكران: تطور المنظومة الصحية أثناء الثورة التحريرية 1954-1962 (الولاية الرابعة التاريخية نموذجاً)، مجلة المصادر، ع19، م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر، د.ت، ص203.
- 4- مسعودة ماضي: فرانتز فانون والثورة في إفريقيا 1925-1961، رسالة ماجستير، إ: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، جامعة أدرار، الجزائر، 2009/2008، ص41.
- 5- صليحة علامة: الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 الى 1962 - عمالة الجزائر - دراسة تاريخية -، دكتوراه علوم، إ: ميخوت بودواية، قسم التاريخ، جامعة أوبكر بلقايد- تلمسان، الجزائر، 2017/2016، ص313.
- 6- محمد بن ساعو: المرأة الجزائرية اللاجئة خلال الثورة التحريرية (1954-1962) من خلال كتابات الصحفية الألمانية إيفه بريستير، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع03، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، د.ت. ، ص96.
- 7- جمال قندل: خطأ موريس وشال وتأثيرهما على الثورة التحريرية 1957-1962، دار بلوتو، الجزائر، 2008، ص227.
- 8- وزارة الثقافة والإعلام: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، الجزائر، 1979، ص18.
- 9- وزارة الإعلام والثقافة: المصدر نفسه، ص-ص، 39-40.

- 10- وزارة الإعلام والثقافة: المصدر نفسه، ص34.
- 11- تشير الإحصائيات والأرقام الواردة في الأبحاث التاريخية، أن عدد المنتهين إلى السلك الطبي عشية اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية، كان يقدر بحوالي: 1851 طبيب، 660 قابلة، 611 صيدلي، 462 طبيب أسنان، في حين أشارت دراسة موازية أن عدد الأطباء عشية الاعلان عن الثورة التحريرية لم يكن يتجاوز 125 طبيب؛ ينظر. نور الدين عسال: الأوضاع الصحية والغذائية خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، م05، ع 02، جامعة الجليلي اليابس - سيدي بلعباس، الجزائر، د.ت، ص04.
- 12- صليحة علامة: المرجع السابق، ص-ص، 100-105.
- 13- محمد بن ساعو: المرجع السابق، ص94.
- 14- علي كافي: مذكرات الرئيس علي كافي (من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1956)، دار القصة، الجزائر، د.ت، ص160.
- 15- علي كافي: المصدر نفسه، ص161.
- 16- مصطفى خياطي: الصليب الأحمر الدولي وحرب الجزائر، تر: عباد قندوز فوزية، دار هومه، الجزائر، 2015، ص 201.
- 17- فاروق بن عطية: المصدر السابق، ص60.
- 18- ANA/ 6G1 /001 /01 /014.
- 19- فاروق بن عطية: المصدر السابق، ص60.
- 20- صالح عسول: : اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1956-1962، رسالة ماجستير، إ: يوسف مناصرة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة العقيد الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2009/2008، ص88.
- 21- Mohamed Amire : **Histoire De La Sante en Algerie** , OPU, Algerie, 1986, P106.
- 22- عبد الله مقلاتي: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، ج06، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013، ص433.
- 23- عبد الله مقلاتي: الثورة الجزائرية والمغرب...، المرجع نفسه، ص435.
- 24- جيلالي تكران: المرجع السابق، ص212.
- 25- جيلالي تكران: المرجع نفسه، ص227.
- 26- علي كافي: المصدر السابق، ص 162.
- 27- جيلالي تكران: المرجع السابق، ص227.
- 28- وزارة الإعلام والثقافة: المصدر السابق، ص 40.
- 29- محمد قنطاري: تضحيات وإثارة فاطمة، مداخلة بالملتقى الوطني الثاني حول البعد الروحي في ثورة التحرير المباركة، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، أكتوبر 2002، ص 176.
- 30- أنيسة بركات: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، دار موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص35.
- 31- فاروق بن عطية: المصدر السابق، ص59.
- 32- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003، ص12.
- 33- خليفة الجنيدي: حوار حول الثورة، ج03، م. و. ت. ص. إ، الجزائر، د.ت، ص426.